



ISSN: 1817-6798 (Print)

Journal of Tikrit University for Humanities

available online at: www.jtuh.org/

**Prof. Dr. Mohammed Yehiya
Ahmed**

College of Arts- University of Anbar

Hammadi Salman Hammadi

College of Arts- University of Anbar

* Corresponding author: E-mail :

Dr.mohammed.y57@gmail.com

07829032626

Keywords:

Tunisia

Education

French protectorate

Northern Africa

Western Arab

ARTICLE INFO**Article history:**

Received 18 July. 2022

Accepted 10 Aug 2022

Available online 29 Nov 2022

E-mail t-jtuh@tu.edu.iq

©2022 COLLEGE OF Education for Human Sciences, TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE

<http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/>



Education in Tunisia 1881-1938 A B S T R A C T

The French protectorate was imposed on Tunisia since 1881. Education was not absent from the country before that era, so the country contained a number of religious and Quranic schools, the most important of which was the Zitouna Mosque, which is one of the most famous Islamic schools. After the French occupation, the occupiers tried to change the concepts of education by introducing Western curricula and restricting Islamic schools in order to push the Tunisian people to abandon them. This research sheds light on education in Tunisia since the era of the French protectorate until 1938.

© 2022 JTUH, College of Education for Human Sciences, Tikrit University

DOI: <http://dx.doi.org/10.25130/jtuh.29.12.3.2022.14>

التعليم في تونس 1881 - 1938

أ.د. محمد يحيى احمد/ كلية الآداب- جامعة الانبار

م.م. حمادي سلمان حمادي/ كلية الآداب- جامعة الانبار

الخلاصة:

فرضت الحماية الفرنسية على تونس منذ عام 1881 اذ لم يكن التعليم غائباً عن البلاد قبل تلك الحقبة فاحتوت البلاد على عدد من المدارس الدينية والقرآنية وأهمها جامع الزيتونة الذي يعد من اشهر المدارس الاسلامية، وبعد الاحتلال الفرنسي حاول المحتلون تغيير مفاهيم التعليم من خلال ادخال المناهج الغربية والتضييق على المدارس الاسلامية من اجل دفع الشعب التونسي للعزوف عنها، وفي هذا البحث

سنسلط الضوء على التعليم في تونس منذ عهد الحماية الفرنسية ولغاية عام 1938.

الكلمات المفتاحية: تونس، التعليم، الحماية الفرنسية، شمال افريقيا، المغرب العربي

التعليم في تونس 1881 - 1938.

امتاز التعليم في تونس⁽¹⁾ قبل عام 1881 بطابعه التقليدي، وارتكازه بدرجة أولى على جامع الزيتونة⁽²⁾، وغيرها مثل الكتاتيب⁽³⁾، (أو المدارس القرآنية)، على الرغم من أن جامع الزيتونة قد شهد في أثناء القرن التاسع عشر، محاولات تحديث⁽⁴⁾، وإعداد برنامج إصلاحى شامل للزيتونة، غير أنّها فشلت في ذلك، لأن شيوخ الزيتونة لم يتقبلوا فكرة الاصلاح الجذري للتعليم، فقد عارض المحافظون على التوجه الجديد⁽⁵⁾، وهكذا نجد أنّها بقيت على حالها، وظل التعليم الزيتوني، منذ عدّة قرون يقوم في حلقات الذكر بالمساجد وعلى بسط الحصير⁽⁶⁾

كانت مؤسسات التعليم القائمة في تونس وعلى اختلاف مراحلها الدراسية، هي من حيث تكوينها التاريخي تعود إلى الأنواع الآتية:⁽⁷⁾

- 1- مؤسسات قديمة جداً، وعريقة في القدم، وتشمل جامع الزيتونة والزوايا والكتاتيب القرآنية.
- 2- مؤسسات استُحدثت في القرن التاسع عشر، وبصفة خاصة قبل فرض الحماية على تونس، واستُحدثت بقصد مسايرة الزمن والاختلاف بأسباب التقدم العلمي، مثل المعهد الصادقي.
- 3- مؤسسات حديثة حرة للتعليم الابتدائي والثانوي، استُحدثت لمواجهة خطر سياسة الاستعمار الثقافية، وتتمثل في المدارس القرآنية.
- 4- مؤسسات رسمية، وهذه استُحدثت بعد الاحتلال، ووضعت برامجها وأهدافها في خدمة الاستعمار وسياسته الثقافية.

أما هياكل التعليم التونسي في عهد الحماية الفرنسية فامتاز بتشعب انظمته وتشتت اتجاهاته واختلاف فروعها، فلم يكن التعليم الابتدائي موحداً، ولم يكن التعليم الثانوي يُمثل امتداداً طبيعياً له⁽⁸⁾ ويمكن تقسيم المدارس الابتدائية إلى خمسة أصناف⁽⁹⁾:

- 1- المدارس الفرنسية (للذكور أو للبنات أو المختلطة).
- 2- المدارس الفرنسية- العربية للذكور والمدارس الفرنسية- العربية للبنات والمختلطة⁽¹⁰⁾.
- 3- المدارس القرآنية العصرية.

4- المدارس الخاصة بالجاليات الأوروبية كذلك مدارس اليهود.

5- الكتابيب القرآنية التقليدية.

أما التعليم الثانوي كان يقسم بدوره على ستة أصناف⁽¹¹⁾:

1- تعليم فرنسي محض وهو امتداد للتعليم الثانوي بفرنسا.

2- تعليم تونسي، عربي فرنسي، وهو على مثال الصادقية.

3- تعليم زيتوني بالجامع وفروعه.

4- تعليم ثانوي حر، أجنبي.

5- تعليم تكميلي في مدارس المعلمين.

6- تعليم مهني تقني للبنين والبنات.

بينما كانت المؤسسات التي تمت بصلة إلى التعليم العالي في تونس زمن الحماية، فيمكن عدّ جامع الزيتونة هو أول تلك المؤسسات، إذ كان يضمّ تعليمًا عاليًا، وكانت مدة الدراسة فيه ثلاث سنوات تختم بالشهادة العالمية، ويمكن تقسيم مؤسسات التعليم العالي على النحو الآتي⁽¹²⁾:

1- المدرسة العليا للغة والآداب العربية، أُسست عام 1911.

2- مركز دراسات الحقوق بتونس، أُسست عام 1922.

3- مدرسة الفنون الجميلة بتونس، أُسست عام 1923.

4- المدرسة العليا للتجارة.

5- المدرسة الاستعمارية للفلاحة، أُسست عام 1898.

ويمكن أن نضيف إليها الأقسام العليا للآداب والرياضيات الخاصة بمعهد كارنو (معهد بورقيبة النموذجي)، وكان إلى جانب هذه المؤسسات التي لم تكن كلها تابعة لإدارة التعليم العمومي، نجد أن هناك بعض المؤسسات التي تخصصت بالبحث العلمي في الميادين وهي⁽¹³⁾:

1- معهد باستور (L'Institut Pasteur).

2- معهد علم المحيطات (L'Instut Océanographique).

3- معهد أرلوان (L'Institut Arloing)).

4- مصلحة علم النبات والفلاحة بتونس التي أُسست عام 1923

(Le Service Botanique et Agronomique de Tunis).

5- مصلحة الفنون والآثار (La Direction des Antiquités et des Arts), أُسست منذ

عام 1885 وألحقت بإدارة التعليم العمومي عام 1919.

6- المكتبة الفرنسي (La Bibliothèque Française) أُسست عام 1885 وأصبحت فيما بعد

تُعرف بالمكتبة الوطنية.

أصبح التعليم هو غاية للارتقاء الاجتماعي لدى أغلب العائلات التونسية⁽¹⁴⁾, وقد وعى المزارعون التونسيون أنّ جهلهم هو سبب وضعيتهم المتدنية؛ ولذلك طالب الأهالي ببعث مدارس خاصة بهم, وأصبح للعلم مكانة كبيرة عند الأهالي⁽¹⁵⁾. كما لاحظ لويس ماشوال (Louis Machuel⁽¹⁶⁾) أول مدير تعليم في تونس الحماس والاندفاع لدى الأهالي التونسيين في المطالبة بتعليم أبنائهم تعليماً حديثاً على غرار تعليم العائلات الراقية⁽¹⁷⁾

إنّ الحماية الفرنسية بعد عام 1881 فرضت سياسة تعليمية جديدة في تونس, فبعد عامين من هذا التاريخ أي عام 1883 أنشئت إدارة التعليم العمومي بتونس⁽¹⁸⁾, وقد أولت السلطات الاستعمارية للتعليم أهمية كبيرة بعدّه أداة للهيمنة الثقافية والإدارية والسياسية على البلاد, ووفقاً لذلك أرست سياسة تعليمية متكاملة شملت مختلف مستويات التعليم ومراحلها, من الابتدائي إلى التعليم العالي مروراً بالتعليم الصناعي والثانوي⁽¹⁹⁾. ونذكر بهذا الخصوص ما جاء على لسان لويس ماشوال في عام 1889 الذي ذكر ب: "أنه من الضروري ألاّ نتصرف بسرعة كبيرة وأن نتمتع في الحاجة لإنشاء مدارس أخرى, وإن ما يلزم البلاد التونسية هو أولاً التعليم الابتدائي بمختلف درجاته, والتعليم المهني والتجاري والفلاحي والصناعي⁽²⁰⁾". وذكر بموقف آخر بقوله: "لقد خصصت الأشهر الأولى من إقامتي في تونس لدراسة ذهنية كل من الجالية الأوروبية والمسلمة؛ وذلك لتسهيل تغلغل التأثير الفرنسي في أوساط الأهالي.."⁽²¹⁾ وكان ماشوال يرى بضرورة فتح أبواب التعليم العصري أمام الأجيال التونسية الصاعدة, حتى لا تضطر فرنسا مستقبلاً إذا لم تعدّهم لمختلف الوظائف "إلى انتداب الأجانب لعدم توفر العناصر الفرنسية:⁽²²⁾"

نشطت الإدارة الفرنسية ولا سيما لويس ماشوال بفتح عدّة مدارس وإيجاد القاعات والمعلمين, واجتهد لإقناع الأولياء من الأهالي بأن لا خوف عليهم أن يعهدوا إلى الحماية بأبنائهم⁽²³⁾. ولقد تعهدت هذه الإدارة بتنظيم تعليم عمومي موجه إلى كل الشعوب التي تعيش في ظل الحماية واستقبال التلاميذ

من كل الجنسيات والديانات، بحيث بدت وفيه لتقاليد الجمهورية الفرنسية التي كانت تتاضل من أجل نظام تعليمي موحد وديمقراطي قائم على المساواة⁽²⁴⁾.

تطور التعليم ولا سيما بعد بعث مدارس حرة للجاليات الأوروبية، والتي شجعها البايات المصلحون، الذين رأوا في هذه المدارس الأوروبية وسيلة للنهضة التونسية، وبالفعل فُتحت مدارس للذكور ومدارس للإناث⁽²⁵⁾، ففي سنة 1883 افتتحت مديرية التعليم العمومي المدارس الابتدائية الفرنسية العربية في تونس والقيروان وصفاقس، ومدارس الابتدائية الفرنسية في المناطق ذات الوجود الأوربي وعلى الساحل، والجنوب والوسط والشمال الغربي⁽²⁶⁾ وعلى الرغم من أن هذه المؤسسات كانت خاصة بالأوروبيين، فلم يمنع ذلك أبناء قسم من العائلات الميسورة من ارتيادها على الرغم من أن نسبتهم بقيت ضعيفة جداً، فمن مجموع 3163 تلميذاً، كان من بينهم 10 مسلمين فقط (7 ذكور و 3 إناث)⁽²⁷⁾

كانت السلطات الفرنسية مهتمة بالتعليم باعتباره أداة للهيمنة الثقافية والإدارية والسياسية على البلاد، فضلاً عن ذلك طالبت الهيئات التعليمية العليا بجعل التعليم متحضراً في تونس، إذ أكدت بـ: "أنه ينبغي أن تكون مدارسنا فرنسية من حيث الأفكار كما كان التعليم، وينبغي أن يكون جيل التلاميذ الذي نهياً متربياً على هذه الفكرة التي جاءت فرنسا لكي تطبقها في هذا البلد وهي مهمة حضارية كبرى⁽²⁸⁾. ونشير في السياق نفسه إلى مشروع أحد منظري التعليم الفرنسي العربي هو جوسراند (J. Jusserand)، الذي عرض مذكرة عن التعليم في تونس التي جاء فيها: "ليس لدينا في الوقت الراهن أفضل طريقة لاستيعاب العرب التونسيين ... انه لا يمكن الاعتماد على الدين لتحقيق الاستيعاب، إنها لن تتحول إلى المسيحية، لكن ممكن تعليمهم اللغة الفرنسية التي يمكن عن طريقها نقل مجموعة من الأفكار والمبادئ الأوروبية...".⁽²⁹⁾

أخذت النخبة التونسية ومنذ بداية القرن العشرين لم ترض على التعليم في الكتاتيب، وطالبت بإصلاح النظام التربوي السائد آنذاك، ونظراً لوعيها المبكر بالتغيرات الجذرية التي بدأت تطرأ على المجتمع التونسي نتيجة الاستعمار الفرنسي المباشر، وإيمانها بأهمية مسألة التعليم العام، كما طالبت فرنسا بأن تراعي شعائرها وميولها الحرة وجعل التعليم الابتدائي مجاناً وجبراً في جميع أنحاء المملكة⁽³⁰⁾، وزادت قناعة هذه النخب بضرورة التغيير في مناهج التعليم، إذ كانت مؤسسات التعليم تقتصر على الكتاتيب لتعليم القرآن، وكان عددها حوالي 500 في كامل البلاد، وكان التعليم أساساً دينياً، واقتصر نظامها على تعليم أبجديات القراءة والكتابة، والقواعد الأولية للغة العربية، وحفظ بعض أجزاء من القرآن الكريم⁽³¹⁾.

بقيت الكتاتيب التقليدية إلى حدود العشرينات من القرن العشرين، هي النموذج التعليمي المحلي الأكثر اعتماداً وانتشاراً بالبلاد، نظراً لعراقته وقلة تكاليفه، فتجربة التعليم العصري التي تبنتها النخبة

التونسية، منذ منتصف القرن التاسع عشر عن طريق مؤسسة الصادقية، بقيت محدودة نسبياً، كما لم تتمكن الخلدونية المحدثه سنة 1896 من تلبية حاجات المجتمع التونسي من التعليم العصري⁽³²⁾.

وبالتوازي مع التعليم الديني الموجه للتونسيين المسلمين، كان هناك مدارس ابتدائية فرنسية بعثتها إدارة التعليم العمومي، وتشمل ثلاثة أنواع من المدارس هي المدرسة الفرنسية للذكور والمدارس الفرنسية للإناث والمدرسة الفرنسية المختلطة⁽³³⁾، وبعثت في كانون الأول/ ديسمبر 1906 مدرسة عصرية، كانت بإعانة الكاتب العام وجمعية الأوقاف ورحب بها الأهالي وقاموا بتسجيل أبنائهم فيها، إذ تم تسجيل 200 تلميذ بهذه المدرسة منذ الشهر الأول لها⁽³⁴⁾.

كانت هذه المدارس موجهة بالأساس لأبناء الجالية الأوروبية، ولا تدرس فيها اللغة العربية نهائياً، وكان التعليم فيها مطابقاً لما يوجد بالمدارس الفرنسية⁽³⁵⁾. فضلاً عن ذلك توجد هناك مدارس ابتدائية فرنسية عربية في مختلف انحاء البلاد، وهنا نسجل بأن هذه المدارس قوبلت في بعض المناطق بالترحيب من لدن الأهالي، وأقبل التلاميذ عليها بكثرة، ولا سيما في العاصمة تونس وضواحيها، وكانت عوائل هؤلاء التلاميذ يأملون في حصول أبنائهم على وظائف في إدارة الحماية، وعلى الرغم من ذلك فإن هذه المدارس لم تكن مفتوحة لكل التونسيين، بل إنها اقتصرت على أبناء الفئات الاجتماعية الميسورة مثل كبار التجار من اليهود والمسلمين⁽³⁶⁾، ونجد أن انتشار مثل هذه المدارس في جنوب البلاد كان ضئيلاً جداً، وتسجل هذه المدارس الحد الأدنى لها، وبالكاد يتجاوز عدد طلابها بضع عشرات من الأطفال، وعلى سبيل المثال نجد أن في مدينة توزر 58 تلميذاً في المدرسة الفرنسية العربية، كان منهم 20 يحضرون الدروس بانتظام⁽³⁷⁾. وهو ما دفع التونسيين إلى النقمة والتذمر عن طريق الصحف الصادرة آنذاك مثل صحيفة "التونسي" التي جاء في إحدى صحفها مقالة لأحد النخب⁽³⁸⁾ ذكر فيها: "إنه ليؤلمنا أن نلاحظ بعد 25 سنة من الحماية الفرنسية، إنه توجد نسبة تسعة اعشار من التونسيين في عتمة الأمية، وهو أمر يستوجب إصلاحاً كاملاً، وعلى فرنسا أن تأمر بتعليم ابتدائي مجاني في كامل البلاد⁽³⁹⁾". وشهدت بداية حقبة العشرينات تغييراً نسبياً في السياسة التعليمية الفرنسية، إذ انتشرت بعض المدارس الفرنسية والمزدوجة في عدّة مدن وبعض التجمعات السكانية، ووصل عدد المدارس سنة 1920 إلى 291 مدرسة من بينها ستون مدرسة مخصصة للتونسيين⁽⁴⁰⁾.

تجدر الإشارة في هذا السياق إلى ما كانت تقوم به أيضاً الطرق الدينية المنتشرة في مختلف جهات البلاد، والتي بلغ عددها 19 زاوية، وعلى الرغم من أن إحصائيات السلطات الفرنسية لم تول الاهتمام الكافي بنسب التلاميذ والطلبة المترددين على زوايا هذه الطرق، إذ لم تورد سوى عددهم بالنسبة لـ (8) طرق من مجموع (19)، فإن هذا العدد كان يُعدّ مهماً جداً، فيمكن معرفة مجموع عدد التلاميذ الذين كانوا يرتادون الزوايا والطرق الدينية لسنتي (1924 و 1925)، بـ 3556 تلميذاً، وإن هذا ليس

بالأمر السهل, ولا سيما وأنه كان يمثل رقماً أدنى, ولا سيما إذا عرفنا أن كل المدارس العمومية بالبلاد التونسية سنة 1918 لم تكن تضمن التعليم سوى لـ 9000 من التلاميذ التونسيين⁽⁴¹⁾.

كان المعلمون وأساتذة التعليم الثانوي الركيزة الأساس للجامعة العامة للموظفين التونسيين, ونشير هنا إلى أن السلطات الفرنسية أسست سنة 1884 مدرسة لتكوين المعلمين التونسيين المتخصصين في تدريس اللغة الفرنسية (Les instituteurs) وبداية من سنة 1908 أصبحت الرغبة في تكوين معلمين تونسيين, ليكونوا قادرين على التدريس باللغتين العربية والفرنسية (Les maitres de langug arabe) وبداية من أواسط العشرينات انضم معلمو اللغتين إلى "الجمعية الودادية لمعلمي اللغة العربية", وفيما بعد أي في سنة 1936 استطاعوا تحويل الودادية إلى نقابة تحت اسم "النقابة التونسية لمعلمي اللغة العربية"⁽⁴²⁾

أما بالنسبة للطلبة الزيتونيين فقد شهدت الديمغرافيا الطلابية في أثناء النصف الأول من القرن العشرين تطوراً كبيراً, فقد زاد عدد الطلبة الزيتونيين من 901 طالباً سنة 1900 إلى حوالي 1000 طالب سنة 1910, ثم ارتفع عددهم بعد استقرار في أثناء الحرب العالمية الأولى, بصفة تصاعدية حتى وصل 1725 طالباً سنة 1931⁽⁴³⁾ ثم 2910 طالباً سنة 1939. وقد نشط هؤلاء الطلبة بعدة إضرابات منذ سنة 1910 تاريخ أول إضراب للطلبة الزيتونيين⁽⁴⁴⁾, ثم تجدد مرة أخرى في سنة 1923, إذ قاموا بإضراب مطالبين بإصلاح التعليم الزيتوني⁽⁴⁵⁾, وبالفعل تم تشكيل مجلس إصلاح التعليم الزيتوني في سنة 1924, وتواصلت اجتماعاته إلى نهاية سنة 1925, غير أن أعمال هذا المجلس بقيت حبراً على ورق⁽⁴⁶⁾, فضلاً عن ذلك طالب التونسيون في الوقت نفسه بإقامة المدارس والمعاهد العلمية لأبنائهم, وأن تكون على وفق المعايير التي يضعونها لا على ما يريده المستعمر, وأن تكون على مبادئهم ومبادئهم, والاحتفاظ بلغتهم وآدابهم⁽⁴⁷⁾. كما تواصل الزيتونيون بنشاطهم الطلابي, إذ شهدت سنة 1928 إضرابات وتحركات طلابية واسعة مطالبين بتنظيم التعليم داخل جامع الزيتونة, لمواكبة العصر بما يتلاءم مع مقتضيات التحولات التاريخية العميقة التي عرفها العالم في المجال المعرفي والعلمي⁽⁴⁸⁾ وبقي الحال على ما هو عليه من تجاذبات وخلافات في داخل منظومة التعليم الزيتوني إلى أن صدر قانون إصلاح التعليم بالجامع وفروعه سنة 1933⁽⁴⁹⁾ والذي بقي حبراً على ورق

هكذا بقي التعليم بجامع الزيتونة على ما هو عليه, وهوما أثار طلبته وطالبوا مرة أخرى بإصلاح التعليم وتقويمه, إذ قاموا بإضراب سنة 1937 نتج عنه تأسيس "لجنة الدفاع عن حقوق الزيتوني"⁽⁵⁰⁾, التي استطاعت أن تفرض نفسها ناطقاً باسم الطلبة الزيتونيين, كما أنها صاغت جملة من المطالب التي نادى بإصلاح التعليم في جامع الزيتونة, غير أن نشاطها توقف بعد أحداث 1938⁽⁵¹⁾

(Jules Ferry), كان الهدف منها تعليم بنات الجالية الفرنسية في تونس واعطائهن تعليم مماثل لزميلاتهن بفرنسا⁽⁵⁷⁾, وأخذ تكوين الإناث المسلمات يتطور بشكل واسع, ولا سيما عندما فتحت الإدارة العامة مدارس خاصة للنساء التونسيات تكون ثنائية اللغة (عربي- فرنسي) في تونس, وكانت حركة تعليم وتكوين الفتيات المسلمات عفوية, في حين أنّ المدارس في المدن المحافظة قد عرفت بداية صعبة⁽⁵⁸⁾, وفي سنة 1900 أسست أول مدرسة خاصة بالبنات المسلمات في تونس وهي مدرسة لويز روني ميلي (Louise- Renée Millet), وكانت مخصصة فقط لفتيات الطبقة الميسورة⁽⁵⁹⁾

كانت حقبة العشرينات وحتى الثلاثينات مرحلة الاختلالات الكبرى للبنى التقليدية, مما أفرز تغييراً للذهنية التونسية, فوقع شبه إجماع على تعليم البنات المسلمة⁽⁶⁰⁾, وبالرغم من ذلك كانت بعض الأوساط المحافظة وحتى نهاية العشرينات على الأقل, غير راضية عن تعليم البنات في المدارس العمومية, وخير دليل على ذلك ما ورد في كتاب "تونس الشهيدة" إذ جاء فيه: "إن جر المرأة التي هي حارسة العائلة وحافظة المجتمع إلى المدارس الحكومية يعني دفع ما بقي من ذكائنا وفطنتنا إلى الهاوية...⁽⁶¹⁾", في حين نجد أنّ أغلبية التونسيين, لا سيما في الثلاثينات أصبحت مقتنعة بأن التعليم للبنات التونسية أمر مهم وضروري, وهكذا بدأ يتقلص عدد المعارضين لتعليم البنات التونسية⁽⁶²⁾

منذ منتصف الثلاثينات عملت النخبة التونسية متمثلة بالحزب الدستوري الجديد على إصلاح وضعية المرأة؛ وذلك لأن التحولات الاجتماعية بالبلاد تحتم على أنّ تكون المرأة متعلمة لتؤدي دورها الاجتماعي والثقافي بشكل صحيح؛ ولأن مدرسة لويس روني أصبحت غير قادرة على مواكبة العصر ومتطلباته الجديدة, بسبب أنّها كانت تختص بتدريس بنات الأغنياء والأعيان بالعاصمة فقط, فعملت النخبة التونسية على بعث مدارس حرة للفتيات, وهو ما رأت فيه إدارة التعليم العمومي في نهاية الثلاثينات سابقة خطيرة وبضرورة مراقبتها وجعلها تحت طائلة الحماية الفرنسية⁽⁶³⁾

أما بخصوص جامع الزيتونة فكان فيه فرغٌ للدراسة الثانوية مخصصاً للبنات, إذ كان التدريس فيه باللغة العربية فقط, أما اللغة الفرنسية فتدرس على أنّها لغة أجنبية, ومن ناحية أخرى فإنّ التعليم التقني للبنات في مرحلة الابتدائية كان يتم عن طريق مراكز التكوين الحرفي, التي نشأت في المناطق المحلية التي تزدهر فيها الحرف, كذلك المرحلة الثانوية التي كان يتم تدريسها في الكليات التقنية آنذاك⁽⁶⁴⁾

الخاتمة

حاولت سلطات الاحتلال الفرنسي على المستوى الاجتماعي والثقافي طمس الشخصية التونسية بالقضاء على اللغة العربية والدين الإسلامي, ومن ثم عملت على نشر اللغة الفرنسية واعتمادها في التعليم, وقد حاولت النخبة المثقفة والبرجوازية التي مثلها الحزب الدستوري القديم من دون جدوى بالرجوع إلى روح معاهدات الحماية. وحاول التونسيون مواجهة القيود التي فرضتها فرنسا عليهم, في محاولة منهم لجعل واقع التعليم متدهوراً بما يخدم مصالحها, من أجل طمس معالم الشخصية الوطنية التونسية, فان السلطات الاستعمارية كانت تهدف إلى الحد من دخول أبناء الطبقات الشعبية إلى المدارس التعليمية, فضلاً عن محاربتها للمراكز الثقافية والتاريخية القديمة بهدف فرنسة التعليم والقضاء على اللغة العربية, وإن المدارس القليلة التي افتحتها السلطات الفرنسية في تونس الغاية منها لتكوين طبقة مثقفة ثقافة فرنسية ذات مفاهيم غربية وأفكار مولية للدولة الحامية.

كما شهد التعليم في تونس تنوع وتعدد قبل فرض الحماية الفرنسية, وقامت السلطات الفرنسية بتنشيطه لما يخدم مصالحها, إلا إن الحصيلة كانت سلبية في مجال التعليم, سواء من حيث الانتشار والتوسع, أو حتى على مستوى تطور المؤسسات وتقدم مناهجها التربوية والعلمية, الواقع الذي تؤكدته معدلات التمدرس ونسب الأمية, وأعداد الخريجين الجامعيين في البلاد التونسية, فقد تعددت الأنماط والأصناف التعليمية في تونس, غير أنّ هذه الأصناف لم تكن متعادلة القيمة ومتكافئة في ضمان المستقبل الفردي, وتحقيق الارتقاء الاجتماعي, وهو ما جعل الأوربيين واليهود والأعيان من أبناء تونس, يقبلون على التعليم الفرنسي, كسبيل للنجاح الاجتماعي, كما استغلته فرنسا منذ البداية, كوسيلة لانتقاء الحلفاء الفعليين, وإزاحة الأعداء الاستراتيجيين

- (1) - للمزيد عن التعليم في تونس زمن الحماية الفرنسية ينظر :
Mokhtar Ayachi, Ecoles et société en Tunisie 1930- 1958, Cahiers du CERES, série Histoire, No 11, (Tunis, 2003) ;
- مختار العياشي, في تاريخ المدرسة التونسية: خلاصة 32 قرنا من الكتابة والمعرفة والتعليم (1101 ق م / 2007م), مركز النشر الجامعي, (تونس, 2012),
- (2) - يرجع تاريخ تأسيس جامع الزيتونة الى سنة 116هـ, وأخذ ينشأ مجده العلمي. ينظر: الطاهر الحداد, التعليم الإسلامي وحركة الاصلاح في جامع الزيتونة, مدونة الاصلاح في تونس, الاعمال الكاملة, تحقيق محمد انور بوسنينة, الدار العربية للكتاب, (تونس, 2012), ص.15
- (3) - هي عبارة عن مدارس دينية تنظم بمبادرة من الأهالي, ويؤمها أطفال تتراوح أعمارهم ما بين 5 أو 16 سنة, يتلقون فيه حروف الهجاء والكتابة تدريجياً, ويلقن سور القرآن القصيرة, كما يسمى هذا التعليم بالتأديب ويسمى معلمه المؤدّب. ينظر :
محمد الطاهر ابن عاشور, أليس الصبح بقريب, الشركة التونسية لفنون الرسم, (تونس, 1988), ص48
- (4) - كان أهم هذه المحاولات وأبرزها هي اصلاحات كل من أحمد باشا باي سنة 1842, والوزير المصلح خير الدين باشا سنة 1874. ينظر: عادل بن يوسف, النخبة العصرية التونسية: طلبة الجامعات الفرنسية: 1880- 1956, كلية الآداب والعلوم الإنسانية بسوسة ودار الميزان للنشر, (تونس, 2006), ص.23
- (5) - علي المحجوبي, النهضة الحديثة في القرن 19 لماذا فشلت بمصر وتونس ونجحت في اليابان, الدار التونسية للنشر, (تونس, 1983), ص.125
- (6) - علي الزيدي, تاريخ النظام التربوي للشعب العصرية الزيتونية (1951- 1965), منشورات مركز البحوث في علوم المكتبات والمعلومات, (تونس, 1986), ص.43
- (7) - أبو القاسم محمد كرو, التعليم التونسي بين الحاضر والمستقبل, منشورات كتاب البعث, مطبعة الترقى, (تونس, 1955), ص 7.
- (8) - مختار العياشي, المصدر السابق, ص281
- (9) - كتابة الدولة للتربية القومية: انبعثنا التربوي منذ الاستقلال, مطبعة الشمال تونس- منشورات الديوان التربوي, (تونس, 1963), ص.13
- (10) - للمزيد عن التعليم في هذه المدارس وكيف كانت تشرف عليها سلطات الحماية الفرنسية, ينظر :
Robert Macken, Louis Machuel et la réforme de l'Education en Tunisie durant les premières années du protectorat, in, REVUE D'HISTOIRE MAGHREBINE, No 3, (Tunis, 1975), PP. 106- 119

- (11) - محمد عابد الجابري, السياسات التعليمية في اقطار المغرب العربي: المغرب, الجزائر, تونس, منتدى الفكر العربي, (عمان, د. ت), ص 79
- (12) - عبد القادر المهيري, بدايات الجامعة قبل الاستقلال: معهد الدراسات العليا بالخصوص, مجلة أكاديميا, السنة الأولى, العدد (3), جامعة منوبة, (تونس, 2012), ص. 10.
- (13) - عادل بن يوسف, المصدر السابق, ص. 45.
- (14) - Mokhtar Ayachi, Op. Cit., P. 63.
- (15) - Pierre Bardin, la vie d'un douar : Essai sur la vie rurale des grandes plaines de la haute Medjerda, Tunisie, Mouton et Cie la Haye, (Paris, 1965), P. 120
- (16) - أول مدير عام للتعليم العمومي بتونس. (1883- 1908)
- (17) - Louis Machuel, L'enseignement Public en Tunisie, (1883- 1906), (Tunis, 1908), P. 22.
- (18) - Mokhtar Ayachi, Enseignement néo-colonialiste (1949- 1958) et choix culturels de la Tunisie indépendante, (Thèse de 3ème cycle, Université de Paris VII, (Paris, 1979), P. 19
- (19) - عادل بن يوسف, المصدر السابق, ص 23
- (20) - Ahmed Abdessalam, Sadiki et les Sadikiens 1875- 1975, Cérès Productions, (Tunis, 1975), P. 35
- (21) - (21) Taoufik Bachouch, Co-instruction géographique de la scolarisation primaire élémentaire en Tunisie, (1883- 1909), in, LES CAHIERS DE TUNISIE, No 133- 134, 3ème trimestre, (Tunis, 1995), P. 73
- (22) - الصّحبي بن منصور, الزيتون: التاريخ وهامشه, قراءة تفكيكية في الظاهرة الزيتونية من النشأة إلى الإصلاح, مكر الدراسات الإسلامية بالقيروان, مجمع الأطرش للكتاب, (تونس, 2016), ص 185..
- (23) - Louis Machuel, Op. Cit., P. 22
- (24) - Sakji Habib, La Politique de l'enseignement en Tunisie à la veille de la première guerre mondiale 1881- 1914, Mémoire de C. A. R., Faculté des lettres et Sciences Humaines, Université de Tunis, (Tunis, 1973), P. 8
- (25) - François Arnoulet, La Pénétration Intellectuelle en Tunisie avant le Protectorat, in, REVUE AFRICAINE, No 438- 439, 1954, P. 145

(26) - Michael Ayari, Le prix de l'engagement politique dans la Tunisie autoritaire, Gauchistes et islamistes sous Bourguiba et Ben Ali (1957- 2011), Edition Karthala et Irmc, (Tunis, 2016), P. 32

(27) - Mongi Bousnina, Développement scolaire et disparités régionales en Tunisie, Tunis Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, Tome II, Publication de l'Université de Tunis I, (Tunis, 1991), P. 38

(28) - Mokhtar Ayachi, Enseignement néo-colonialiste .., P. 19

(29) - Nouredine Sraieb, Le Collège Sadiki de Tunis 1875- 1956: Enseignement et nationalisme, Les éditions de la méditerranée, Alif, (Tunis, 1996), P. 75

(30) - لطفي حمدة, نظام التعليم بالجريد 1881-1956, نظر للنشر, (تونس, 2016), ص ص. 42-41
(31) - مختار العياشي, الزيتونة والزيتون في تاريخ تونس المعاصر (1883-1958), مركز النشر الجامعي, جامعة الزيتونة, (تونس, 2003), ص. 24

(32) - مختار العياشي, في تاريخ المدرسة التونسية .., ص. 264.

(33) - Nouredine Sraïeb, Colonisation décolonisation et enseignement, l'exemple Tunisien, l'institut National des Sciences de l'éducation Tunis, (Tunis, 1974),

(34) - شارل اندري جوليان, المعمرون الفرنسيون وحركة الشباب التونسي, تعريب محمد مزالي والبشير بن سلامة, الشركة التونسية للتوزيع, (تونس, 1986), ص 146

(35) - (35) - André Louis, La jeunesse tunisienne et les études: effectifs scolaires, orientations diverses, in, I.B.L.A., No 61, Avril, 1953, P. 11

(36) - مختار العياشي, الزيتونة والزيتونيون في تاريخ تونس .., ص. 25

(37) - Mokhtar Ayachi, Enseignement néo-colonialiste .., P. 27

(38) - هو علي باش حامية

(39) - (39) - Chedly Khairallah, Le Mouvement Jeune Tunisien, Tome 2, Etablissements Bonici, (Tunis, 1938), P. 92

(40) - Alya Baffoun, Elite culturelle et construction nationale dans les sociétés maghrébines, in, REVUE TUNISIENNE DES SCIENCES SOCIALES, No 28- 29, (Tunis, 1972), P. 195

(41) - لطيفة الأخضر, الإسلام الطريقي: دراسة في موقعه من المجتمع ومن القضية الوطنية, سراس للنشر, (تونس, 1993), ص ص. 62-63

(42) - الهادي التيمومي, تاريخ تونس الاجتماعي .., ص. 84.

(43) - محمد ضيف الله، الطلبة التونسيون ومخاضات الوطن في منتصف القرن العشرين، مكتبة تونس، (تونس، 2016)، ص 27.

(44) - علي الزيدي، الزيتونيون دورهم في الحركة الوطنية التونسية .. ص.187 .

(45) - هنا نسجل مبادرة الطاهر الحداد في كشف مواطن الخلل في التعليم الزيتوني وتشمل: ظروف تعلم الطلاب وعيشهم، كذلك طرق التدريس، والكتب والبرامج المدرسية، فضلاً عن المواد المقررة للدراسة، كذلك الإدارة والنظارة. ينظر: مصدق الجليدي، رواد الإصلاح التربوي في تونس: ابن خلدون- الطاهر بن عاشور- الطاهر الحداد- الخضر حسين، دار سحر للنشر، (تونس، 2009)، ص 156.

(46) - محمد ضيف الله، المدرج والكرسي: بحوث حول الطلبة التونسيين بين الخمسينات والسبعينات، مكتبة علاء الدين، (صفاقس، 2009)، ص.156

(47) - نور الدين الدقي وآخرون، المجتمع التونسي والإستغلال الإستعماري، سلسلة وثائق ونصوص من تاريخ تونس المعاصر، المعهد الأعلى لتاريخ الحركة الوطنية، (تونس، 1997)، ص.133

(48) - جمال الدين دراويل، النخبة والحرية: تونس في الثلث الأول من القرن العشرين، دار سحنون للنشر والتوزيع، (تونس، 2011)، ص.353

(49) - وزع قانون الإصلاح لسنة 1933 التعليم بجامع الزيتونة إلى ابتدائي وثانوي وعال، وتمّ تخصيص الجامع الأعظم للتعليم الثانوي والعالي، في حين خصصت فروع الجامع للتعليم الابتدائي، إذ أوجد ثلاث مراتب هي المرتبة الابتدائي وتنتهي بشهادة الأهلية، والمرتبة المتوسطة أو الثانوية تنتهي بشهادة التحصيل، بينما المرتبة العليا تنتهي بشهادة العالمية. ينظر: علي الزيدي، التعليم الزيتوني في ظل إصلاح سنة 1933، مجلة اكاديميا، السنة الأولى، العدد (7- 9)، عدد خاص، جامعة منوبة، (تونس، 2012)، ص.13

(50) - تركبت هيئتها الادارية من العناصر الآتية: البشير بن يوسف رئيساً لها، وهو شقيق صالح بن يوسف، ومحمود شرشور كاهية له. ومحمد عبد الرزاق، كاتباً عاماً للجنة، ومحمد عبّيد، كاهية له. ومصطفى معرف أمين المال. ومحجوب الزواوي، رئيس الدعاية. ينظر: محمد ضيف الله، الحركة الطلابية التونسية (1927- 1939)، منشورات مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، (تونس، 1999)، ص.299 .

(51) - محمد ضيف الله، تراجم الناشطين في الحركة الطلابية التونسية (1910- 1991)، سلسلة البحوث، المنشورات الجامعية بمنوبة، (تونس، 2014)، ص.20

(52) - Mokhtar Ayachi, Etudes d'Histoire culturelle ..., P. 158

(53) - Ibid, P. 160

(54) - محمد الفاضل ابن عاشور، الحركة الادبية والفكرية في تونس (في القرنين 19 / 20م)، المجمع التونسي للعلوم والآداب والفنون- بيت الحكمة، (تونس، 2009)، ص ص 195- 196 ؛ احمد خالد، أضواء من البيئة التونسية .. ص.93

(55) - للمزيد عن تعليم المرأة التونسية ينظر:

Zénaïde Tsourikoff, L'enseignement des filles en Afrique du Nord, Editions A. Pedone, (Paris, 1935).

(56) - مختار العياشي, في تاريخ المدرسة التونسية .., ص.267

(57) - Souad Bkalti, l'enseignement féminin dans le primaire au temps la tunisie colonial, in, REVUE IBLA, No 166, (Tunis, 1990), PP. 252- 253

(58) - Henri de Montety, Femmes de Tunisie, Mouton et go Lahaye, (Paris, 1958), P. 96

(59) - حياة الماجري, من "تعليم الصبيان" إلى التعليم الابتدائي في مدينة تونس في العهد العثماني, دار نقوش عربية للنشر, (تونس, 2014), ص 76 ؛

(60) - عبد الكريم المناعي, التونسيون وقضية التعليم الابتدائي للبنات المسلمة من 1881- 1956, شهادة كفاءة بالبحث, كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بتونس, (تونس, 1997), ص.103

(61) - مختار العياشي, في تاريخ المدرسة التونسية .., ص.269

(62) - (62) عبد الكريم المناعي, المصدر السابق, ص120.

(63) - Mokhtar Ayachi, Ecoles et société en Tunisie .., P. 72

(64) - Henri de Montety, Femmes de Tunisie .., P. 27

- 1- Henri de Montety, Femmes de Tunisie, Mouton et go Lahaye, (Paris, 1958)
- 2- Souad Bkalti, l'enseignement féminin dans le primaire au temps la tunisie colonial, in, REVUE IBLA, No 166, (Tunis, 1990),
- 3- Zénaïde Tsourikoff, L'enseignement des filles en Afrique du Nord, Editions A. Pedone, (Paris, 1935).
- 4- Alya Baffoun, Elite culturelle et construction nationale dans les sociétés maghrébines, in, REVUE TUNISIENNE DES SCIENCES SOCIALES, No 28- 29, (Tunis, 1972),
- 5- Chedly Khairallah, Le Mouvement Jeune Tunisien, Tome 2, Etablissements Bonici, (Tunis, 1938) ,
- 6- André Louis, La jeunesse tunisienne et les études: effectifs scolaires, orientations diverses, in, I.B.L.A., No 61, Avril, 1953,
- 7- Noureddine Sraïeb, Colonisation décolonisation et enseignement, l'exemple Tunisien, l'institut National des Sciences de l'éducation Tunis, (Tunis, 1974) ,
- 8- Noureddine Sraïeb, Le Collège Sadiki de Tunis 1875- 1956: Enseignement et nationalisme, Les éditions de la méditerranée, Alif, (Tunis, 1996)
- 9- Mongi Bousnina, Développement scolaire et disparités régionales en Tunisie, Tunis Faculté des Sciences Humaines et Sociales de Tunis, Tome II, Publication de l'Université de Tunis I, (Tunis, 1991)
- 10- Michael Ayari, Le prix de l'engagement politique dans la Tunisie autoritaire, Gauchistes et islamistes sous Bourguiba et Ben Ali (1957- 2011), Edition Karthala et Irmc, (Tunis, 2016),

- 11- François Arnoulet, La Pénétration Intellectuelle en Tunisie avant le Protectorat, in, REVUE AFRICAINE, No 438- 439, 1954,
- 12- Sakji Habib, La Politique de l'enseignement en Tunisie à la veille de la première guerre mondiale 1881- 1914, Mémoire de C. A. R., Faculté des lettres et Sciences Humaines, Université de Tunis, (Tunis, 1973)
- 13- Taoufik Bachouch, Co-instruction géographie de la scolarisation primaire élémentaire en Tunisie, (1883- 1909), in, LES CAHIERS DE TUNISIE, No 133- 134, 3ème trimestre, (Tunis, 1995) ,
- 14- Ahmed Abdessalam, Sadiki et les Sadikiens 1875- 1975, Cérès Productions, (Tunis, 1975), P. 35
- 15- Mokhtar Ayachi, Enseignement néo-colonialiste (1949- 1958) et choix culturels de la Tunisie indépendante, (Thèse de 3ème cycle, Université de Paris VII, (Paris, 1979) ,
- 16- Louis Machuel, L'enseignement Public en Tunisie, (1883- 1906), (Tunis, 1908), P. 22
- 17- Pierre Bardin, la vie d'un douar : Essai sur la vie rurale des grandes plaines de la haute Medjerda, Tunisie, Mouton et Cie la Haye, (Paris, 1965), P. 120
- 18- Robert Macken, Louis Machuel et la réforme de l'Education en Tunisie durant les premières années du protectorat, in, REVUE D'HISTOIRE MAGHREBINE, No 3, (Tunis, 1975), PP. 106- 119
- 19- Mokhtar Ayachi, Ecoles et société en Tunisie 1930- 1958, Cahiers du CERES, série Histoire, No 11, (Tunis, 2003) ;

List of sources and references

- 1- Jamal al-Din Darawil, Elite and Freedom, Tunisia in the First Third of the Twentieth Century, Dar Sahnoun for Publishing and Distribution, (Tunisia, 2011),
- 2- Ali al-Zaidi, Zaytouni education in light of the reform of the year 1933, Academic Journal, first year, issue (7) (9) special issue, Manouba University,(Tunisia, 2012)
- 3- Muhammad Dhaifallah, The Tunisian Student Movement (1927-1939), Publications of the Tamimi Foundation for Scientific Research and Information, Tunisia,(1999)
- 4- Mohamed Daifallah, Biographies of Activists in the Tunisian Student Movement (1910-1991), Research Series, University Publications in Manouba,(Tunisia, 2014),
- 5- Muhammad Al-Fadil Ibn Ashour, The Literary and Intellectual Movement in Tunisia (in the 19th and 20th Centuries AD), Al-Majma' Al-Tunisi for Science, Literature and Arts – House Al-Hikma, Tunisia, 2009),
- 6- Hayat Al-Majri, From “Educating Boys” to Primary Education in the City of Tunis during the Ottoman Era, Arab Nuqoosh Publishing House, (Tunisia, 2014),
- 7- Abdul Karim Al-Mannai, The Tunisians and the Case of Primary Education for Muslim Girls from 1881-1956 Certificate of Proficiency in Research College of Humanities and Social Sciences in Tunis, (Tunisia, 1997)
- 8- Adel Ben Youssef, the Tunisian modern elite, students of French universities :1880-1956, Faculty of Arts and Humanities in Sousse and Dar El Mizan For publication, Tunis, 2006),
- 9- Muhammad al-Taher Ibn Ashour, Isn't the morning near, The Tunisian Company for the Arts of Painting, Tunisia, 1988

- 10- Al-TaHER Al-Haddad, Islamic Education and the Reform Movement in Al-Zaytouna Mosque, The Reform Blog in Tunisia, The Complete Works, investigated by Muhammad Anwar Bousnina, The Arab Book House, Tunisia, 2012,
- 11- Tunisia, Arab Thought Forum, Amman, d. T, p. 79
- 12- Abdul Qadir Al-Muhairi, The Beginnings of the University Before Independence: The Institute of Graduate Studies in particular, Academia Journal, First Year, Issue (3), Manouba University, (Tunisia, 2012),
- 13- Al-Sahbi bin Mansour, Al-Zaytouna, History and its margins, a deconstructive reading of the Zaytouna phenomenon from its inception to reform, Center for Islamic Studies in Kairouan, Al-Atrash Book Complex (Tunisia, 2016),
- 14- Mukhtar Al-Ayashi, Al-Zaytouna and Al-Zaytouna in the Contemporary History of Tunisia (1883-1958), University Publishing Center, Al-Zaytouna University, (Tunisia,(2003)
- 15- Andre Julian, The French Reconstructors and the Tunisian Youth Movement, The Arabization of Muhammad Mazali and Al-Bashir Bin Salama, The Tunisian Company For distribution, Tunis, 1986)
- 16- Latifa Al-Akhdar, Tariq Islam: A Study of its Position in Society and in the National Issue, Siras Publishing, (Tunisia, 1993),
- 17- Muhammad Dhaifallah, Tunisian Students and the Births of the Nation in the Middle of the Twentieth Century, Library, Tunis, Tunisia, 2016,
- 18- Mossadeq Al-Jalidi, Pioneers of Educational Reform in Tunisia: Ibn Khaldoun, Al-TaHER Bin Ashour – Al-TaHER Al-Haddad Al-Khidr Hussein, Dar Sahar For publication, (Tunisia, 2009),
- 19- Muhammad Dhaifallah, the auditorium and the chair, research on Tunisian students between the fifties and seventies, Alaeddin Library, (Sfax ,(2009)
- 20- Nouredine Dokki and others, Tunisian society and colonial exploitation, a series of documents and texts from the contemporary history of Tunisia, the Higher Institute for the History of the National Movement, (Tunisia, 1997)
- 21- Ali Al-Mahjoubi, The Modern Renaissance in the 19th Century: Why Did It Fail in Egypt and Tunisia and Succeed in Japan, The Tunisian Publishing House, (Tunisia, 1983),
- 22- Ali al-Zaidi, History of the educational system of the modern Zaytouni people (1951 (1965), Publications of the Research Center in Library SciencesInformation, (Tunisia, 1986),
- 23- Abu Al-Qasim Muhammad Karoo, Tunisian education between the present and the future, Al-Baath book publications, Al-Tarqi Press, Tunisia, 1955
- 24- State Writing for National Education Our Educational Resurgence Since Independence, Al-Shamal Press – Tunisia, Publications of the Educational Bureau, (Tunisia, 1963),